مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد14/ العدد: 03 (2026)، ص: 642-651

مختار زواوي و إعادة قراءة سوسير: في نقد الوساطة النصية وتشكل الوعي اللساني الحديث

Zawawy's Reading of Saussure: Textual Mediation and the Genesis of Modern Linguistic Consciousness

بن سليمان نسيمة

جامعة د. يحي فارس -المدية (الجزائر)، benslimanenassima19@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/05/30 تاريخ القبول: 2026/09/07 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

يعالج هذا المقال إشكالية معرفية راسخة في صميم الدراسات اللسانية المعاصرة ، تتصل بمسارات تلقي الفكر السوسيري ونقله وترجمته في الفضاء الأكاديمي العربي ، وما اعترى هذه المسارات من التباسات نصية وتأويلية متشعبة أفضت إلى تكريس صورة مزيفة لهذا الفكر باتت تتداولها الأوساط البحثية بوصفها يقينا معرفيا لا يساءل . وقد وجد مشروع مختار زواوي النقدي في إعادة قراءة سوسير منطلقا تأسيسيا لمواجهة هذه الإشكاليات ، إذ ينهض هذا الطرح على جملة من الاشتراطات المنهجية الصارمة التي تعيد الاعتبار للمخطوطات السوسيرية الأصيلة وتفكك المسلمات التقليدية التي رسختها القراءات البنيوية المغلقة . وتتمحور إشكالية هذا المقال حول التساؤل الجوهري الآتي : إلى أي حد أسهمت إشكاليات الوساطة النصية وقصور الكفاءة الفيلولوجية والتأويلية في تحريف صورة الفكر السوسيري عن أصولها المؤسسة في الفضاء الأكاديمي العربي ، وهل تمثل إعادة قراءة مختار زواوي النقدية للمدونة السوسيرية – بما تنطوي عليه من مساءلة معمقة لآليات التلقي وتفكيك للموروث التأويلي المتراكم – مدخلا تأسيسيا كفيلا ببناء وعي لساني عربي متجدد يتجاوز استهلاك النموذج الغربي إلى مساءلته نقديا و إنتاج موقف معرفي مستقل ورصين ؟

كلمات مفتاحية: الوساطة النصية ، الكفاءة الفيلولوجية ،الجهاز المصطلحاتي ، ما قبل السوسيرية ، الوعي اللساني العربي ، التجديد المعرفي .

Abstract:

This article addresses an epistemological problematic deeply embedded in the core of contemporary linguistic studies, pertaining to the trajectories of reception, transmission, and translation of Saussurean thought within the Arab academic sphere, and the complex textual and interpretive ambiguities that have pervaded these trajectories — ambiguities that have ultimately consolidated a distorted image of this intellectual framework, one that has since circulated within research communities as an unquestioned epistemic certainty. The critical project of Mukhtar Zawawy, centered on the re-reading of Saussure, has found in this endeavor a foundational point of departure for confronting these problematics, insofar as this approach rests upon a set of rigorous methodological prerequisites that restore scholarly authority to the authentic Saussurean manuscripts while systematically dismantling the

received assumptions entrenched by closed structuralist readings. The central problematic of this article revolves around the following fundamental inquiry: To what extent have the problematics of textual mediation and the deficiency of philological and interpretive competence contributed to the distortion of Saussurean thought from its founding origins within the Arab academic space? And does Mukhtar Zawawy's critical re-reading of the Saussurean corpus — encompassing as it does a profound interrogation of the mechanisms of reception and a deconstruction of accumulated interpretive heritage — constitute a foundational entry point capable of constructing a renewed Arab linguistic consciousness that transcends the mere consumption of the Western paradigm toward its critical interrogation and the production of an independent and rigorous epistemological stance?
Keywords: Textual Mediation, Philological Competence, Terminological Apparatus, Pre-Saussurean, Arab Linguistic Consciousness , Epistemological Renewal.

***المؤلف المرسل:** نسيمة بن سليمان

1. مقدمة

لا يزال الفكر السوسيري يحتلّ موقعاً محورياً في صميم الدراسات اللسانية المعاصرة، غير أن هذه المكانة المرموقة لم تُسلم من إشكاليات تلقٍّ عميقة طالت صورته المتداولة وأبعدتها عن أصولها المؤسِّسة، سواءٌ على صعيد الوساطات النصية التي أعادت تشكيله، أم على صعيد القراءات البنيوية التي جمّدت أفقه وأغلقت إمكاناته النظرية. وقد غدا الفضاء الأكاديمي العربي من أكثر الفضاءات تأثراً بهذه الإشكاليات المتشعّبة، لا سيما في ظل ترجمات مبتسرة وقراءات مشوبة بغياب الكفاءة الفيلولوجية والوعي التأويلي الرصين. ومن هذا المنطلق تنهض هذه الدراسة بمساءلة مشروع مختار زواوي النقدي في إعادة قراءة سوسير، إذ يُمثّل هذا المشروع في تقديرنا نموذجاً معرفياً تأسيسياً يستحق التأمل والاستثمار، لما ينطوي عليه من أدوات منهجية كفيلة بتجديد الاشتغال اللساني العربي وإعادة تأسيسه على قواعد أكثر رسوخاً ودقةً ومنهجية.

2. مدخل تأسيسي

1.2 من نقد الوساطة النصية إلى تأسيس موقف نظري –مختار زواوي قارئا للفكر السوسيري

2 تثير دراسة تاريخ اللسانيات الحديثة إشكالا يتجاوز تتبع المفاهيم في صورتها المستقرة ، ليطال الشروط التي تشكلت في ظلها هذه المفاهيم ، والوسائط التي أسهمت في ترسيخها داخل الوعي اللساني المعاصر ، وفي هذا الأفق لم يعد الفكر السوسيري يتناول بوصفه منطلقا نظريا مكتمل البنية فحسب ، بل بوصفه نصا تأسيسيا مر عبر مسار معقد من التلقي و التحرير و إعادة البناء ، الأمر الذي يجعل بين المشروع الأصلي وصورته المتداولة مسألة ذات دلالة ابستمولوجية وهذا ما يؤكده الباحث مختار زواوي أن "استخلاص فكر دوسيسر الأصيل مما هو شائع في أدبيات اللسانيات والسيميائيات الحديثتين ليس بالأمر اليسير ، لأنه يقتضي التفرغ أولا للإحاطة بحيثيات مشروع نشر المحاضرات في اللسانيات العامة التي ألقاها دوسيسر بجامعة جينيف والتعرف على الظروف التي أحاطت به ، ولأن الكتاب لم يكن من وضع دوسيسر ، وجب ثانيا التحقق من مدى وفاء الناشرين في التعبير عن فكر اللسانياتي

والسيميائياتي تعبيرا صادقا لا يداخله زيادة (زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، 2017، صفحة 21) .ينظر

3 يشخص مختار زواوي إشكالا إبستمولوجيا دقيقا يتصل بمشروعية الأساس الذي شيدت عليه اللسانيات الحديثة ، إذ يفترض أن الوصول إلى فكر دوسوسير في أصالته لا يمكن أن يتم عبر الصورة المكرسة له في الأدبيات اللسانية والسيميائية المعاصرة ، لأن هذه الصورة نفسها حصيلة تاريخ الوساطات النصية والتأويلات المتداولة . فمحاضرات في اللسانيات العامة ، لا تمثل نصا مؤلفا بالمعنى الدقيق ، بل بناء تحريريا أنجزه تلامذته انطلاقا من مذكرات ومحاضرات متفرقة ، خضعت لعمليات تنظيم وصياغة وترتيب مفاهيمي قد لا تعكس بدقة المسار الفعلي لتفكير سوسير ، ومن ثم فإن استعادة سوسير المؤسس تقتضي في منظور زواوي ، جهدا مزدوجا : تحقيقا في الملابسات التاريخية والعلمية التي واكبت نشر تلك المحاضرات ، وفحصا نقديا لمدى وفاء المحررين في نقل فكره دون إعادة تشكيله وفق أفقهم النظري . فقد أبانت البحوث عن "فشل **شارل بالي** و **ألبير سشهاي** في بيان فكر دوسوسير، لأنهما ما حضرا يوما درس من دروس هذه المحاضرات ، ما كانت كراسات الطلبة التي استعانا بها كفيلة بأن تعوض عنهم هذا النقص ، فليس المخبر كالمعاين (زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، 2017، صفحة 21)؛ ينظر (Ferdinand de Saussure, 2002, p. 36) إزاء هذا الطرح يشدد زواوي على الفرق بين المعايشة المباشرة والنقل غير المباشر لا يفهم بوصفه حنينا إلى أصل مفقود بقدر ما هو تنبيه إلى أن كل معرفة تمر عبر وسائط تاريخية ولغوية تترك أثرها في بنيتها . ومع ذلك ، فإن هذا الموقف يظل منتجا علميا بقدر ما يستثمر لا لنقض البناء اللساني القائم ، بل لإعادة وعيه بأصوله ومسارات تشكله ، أي لتحويل النظرية من منظومة مغلقة إلى تاريخ مفاهيم مفتوح على المراجعة ، وهو ما يشكل إسهاما ناضجا في تعميق التفكير في فلسفة اللسانيات وحدودها .

2.2 دعوة للعودة إلى سوسير قبل السوسيرية :(مساءلة الوساطة النصية وتجاوز القراءة البنيوية المغلقة)

تندرج الدعوة إلى "العودة إلى سوسير قبل السوسيرية "، في منظور مختار زواوي،ضمن أفق ابستمولوجي يميز بدقة بين فكر المؤسس كما تبلور في سياق الدرس الحي ، وبين صورته كما أعادت الوساطة التحريرية تشكيلها داخل كتاب اكتسب لاحقا سلطة النص التأسيسي ، فزواوي لا ينازع في القيمة التاريخية لكتاب محاضرات في اللسانيات العامة ، بقدر ما ينبه إلى أن النص هو حصيلة اختيار وترتيب و تأويل ، لا انعكاسا مطابقا لحركية تفكير كانت تتقدم في فضاء تعليمي شفهي مفتوح على المراجعة والتعديل ، ومن ثم فإن استعادة سوسير عنده ، لا تعني الارتهان للمفاهيم في صيغتها المدرسية المستقرة ، بل تعني تفقد شروط تشكلها ، وتتبع مسارها قبل أن تحاط بسياج النسقية البنيوية ؛"ولعل أخطر هذه المسائل على طبيعة تلقي فكر دوسوسير اللسانياتي هي مسألة موضوع اللسانيات ، وهي مسألة نحسبها ذات أهمية ابستمولوجية بالغة وهي تلك التي عبرت عنها الجملة التي اختتم الناشرين للكتاب إن اللسان هو موضوع اللسانيات في ذاته ولذاته ، وهو موضوعها الوحيد والحقيقي ، وهي الجملة التي أثبت روبار غودال عدم صحة انتسابها إلى دوسوسير ، في ضوء ما استجد في المرحلة الرابعة من مراحل تلقي المحاضرات ، وهي المرحلة التي تبدأ بالبحوث الفيولوجية التي قام بها مجموعة من اللغوين بغية رد لدوسوسير ما هو حق لدوسوسير، والكشف عما يعتري كتاب المحاضرات من نقائص ، وإضافات واختزالات وتحويرات وتعديلات ، مما لا يسعنا إحصاؤه ههنا (زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، 2017، صفحة 47).ينظر ,Saussure) p. 317)

ومن ثم فإن إعادة النظر في نسبة هذا التحديد لا تؤدي إلى نقض المشروع السوسيري ، بقدر ما تقضي إلى تفكيك القراءة البنيوية الصلبة وإعادة فتح أفق نظري يعتبر موضوع اللسانيات بناء إجرائيا يتحدد بزواية النظر والمنهج ، لا جوهرا مغلقا مكتفيا بذاته . بهذا المعنى ، تمثل قراءة زواوي إسهاما في تحرير الفكر اللساني من وهم التطابق بين النص المؤسس وصيغته المتداولة ، وإعادة إدراج البعد التاريخي والتأويلي في فهم تشكل المفاهيم اللسانية الكبرى.

"و إذا أبنا إلى تعريف دوسوسير للسانيات كما تناقلته كراسات طلبته بوصفها علم اللغة أو علم الألسن ورحنا نتتبع كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة ينبغي التحقق من هذا التعريف ما وجدنا له أثرا ، بل إن التصور الذي اصطنعه شارل بالي وألبير سشهاي عن اللسانيات يختلف كل الاختلاف عن تصور دوسوسير لها ؛ إذ أنهما أزاحا مفهوم اللغة عنها وتخليا عن ميزتي التعدد والتنوع اللتين هما من خصائص الألسن الثابتة ، فأضحى اللسان من وجهة نظرهما ، في ذاته ولذاته ، الموضوع الوحيد والحقيقي للسانيات ، بل إن التخلي عن مفهوم اللغة والكلام أيضا ، واتخاذ مفهوم اللسان المفهوم المحوري الذي تدور حوله سائر المفاهيم هما الدعامتين الرئيستين ، والكفلتين في نظرهما بصياغة اللسانيات العامة " (زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، 2017، صفحة 38) ينظر في هذا السياق (Saussure, p. 317)؛ ضمن هذا التوجه ينبه مختار زواوي إلى مفترق حاسم في تاريخ اللسانيات ، حيث يتقاطع البعد النصي بالرهان الإبستمولوجي . فالتفاوت بين ما توحي به دفاتر الطلبة من تصور لعلم الألسن، وبين الصيغة التي كرسها النص المحرر للمحاضرات ، لا يمكن اختزاله في اختلاف تعبيري ، بل يدل على انتقال من أفق تفكير مفتوح في الظاهرة اللغوية إلى بناء منهجي أعاد تحديدها ضمن إطار أكثر تقنينا . لقد أتاح تركيز الناشرين على النسق اللساني باعتباره مركز الثقل النظري تأسيس موضوع قابل للضبط ، وهو شرط لازم لقيام علم مستقل، غير أن هذا الضبط تحول في تلقي لاحق ، إلى تصور معياري جامد غلب البنية على حركية الاستعمال ، والوحدة على التعدد ، والتجريد على الامتداد التاريخي والاجتماعي للغة .

بهذا يغدو ما استقر عليه التقليد البنيوي صيغة إجرائية ، لكنه لا يستنفد الإمكانات النظرية التي يتيحها التفكير السوسيري في شموليته ، الأمر الذي يفتح المجال لإعادة التنوع والاستعمال ضمن تصور لساني يحافظ على الصرامة دون أن يحول الإجراء التحليلي إلى حد أنطولوجي .

3. الترجمة والتأويل في الفكر السوسيري

1.3 إشكالية النص والكفاءة المعرفية

إن الاشتغال بالفكر اللساني الحديث يقتضي من الباحث أن يقر ابتداء بجملة من الإشكاليات المنهجية التي تلقي بظلالها على مسار التلقي والتأويل معا ولعل أعسرها و أكثرها إرباكا للدرس اللساني العربي تلك المتعلقة بمسألة الترجمة و ما ينجر عنها من تعقيدات اصطلاحية ومفهومية لا يستهان بها . وقد تنبه إلى هذا المأزق المعرفي كثير من الباحثين المشتغلين بالفكر السوسيري ، غير أن مختار زواوي كان من أكثرهم دقة في تشخيص جوهر المسألة وتحديد أبعادها ، إذ يقرر في هذا الصدد"إن الصعوبة التي يمكن أن تكتنف كل مشروع لترجمة فكر دوسوسير ليست مقتصرة على الترجمة العربية من دون سائر الألسن الأخرى لأسباب عديدة ، لعل أهمها ، في نظرنا ، عدم اكتمال المشروع السوسيري واستقراره على جهاز مصطلحاتي يمكن من تتبع مجمل تواريداته في نصوص دوسوسير المختلفة ومن ثمة الوقوف على دلالاته " (زواوي، مسائل في تلقي النظرية السوسيرية، 2021، الصفحات 61-62)، وهكذا يكشف لنا زواوي أن عمق الأزمة لا يكمن في قصور الآليات الترجمية العربية وحدها ، بل يتجذر في صميم البنية الداخلية للمشروع السوسيري ذاته ، الذي ظل –لأسباب معروفة تتصل بطبيعة الموروث النصي المتاح – في طور التشكل والتحول المستمر ، مما أفضى إلى اضطراب مفهومي بنيوي يجعل من كل محاولة ترجمية رهينة قدر من

التأويل لا مناص منه . ومن ثم ، فإن الناظر في المدونة اللسانية السوسيرية يجد نفسه أمام نصوص تفتقر إلى الاتساق الاصطلاحي الذي يعد شرطا أوليا لكل ترجمة علمية رصينة ، وهو ما يجعل هذا الملف مفتوحا على مزيد من الاجتهاد والمراجعة المعرفية . و إذا كانت الكفاءة الترجمية قد تبين أنها منظومة متشعبة من الشروط المعرفية المتداخلة ، فإن التأمل في طبيعة النصوص السوسيرية ذاتها يكشف عن بعد إضافي كثيرا ما يغفله المشتغلون بترجمة هذا الفكر أو تأويله ، ألا وهو البعد اللغوي التطبيقي المتجسد في الأمثلة التي اعتمدها دوسوسير أداة إجرائية لتوضيح مفاهيمه وترسيخ مصطلحاته . إذ لا يكفي الإحاطة بالمفهوم في مستواه النظري المجرد ، بل لابد من النفاذ إلى النسيج اللغوي الذي اختاره دوسوسير ليجسد فيه تصوراته ، وهو نسيج يستدعي بدور كفاءات لسانية وتاريخية لا يستهان بها . وفي هذا السياق بالذات ينبهنا مختار زواوي إلى إشكالية بالغة الدقة حين يقرر أنه :"إن المعرفة بالألسن التي صاغ دوسوسير أمثلته فيها قصد التعريف بالمفاهيم والمصطلحات التي أودعها فيها ، فمفهوم **la parallélié** مفهوم لا يمكن فهمه فهما عميقا ، واقتراح مكافئ سديد له دون أن يقف الباحث عنه الأمثلة التي استحضرها للتعريف به ، وهي أمثلة مستقاة من اللسان اليوناني ، ولا تنفك المعارف اللسانية تستدعي معارف لسانياتية ، ونعني بهذه امتلاك المترجم لنظرات متمرسة في تاريخ اللسانيات ، لاسيما الفترة التي أظلت فكر دوسوسير ، ونعني بها فترة القرن التاسع عشر الذي استحكمت فيه الدراسات التاريخية المقارنة وأهم مواقفه منها " (دوسوسير، 2019، الصفحات 36-37)، وبهذا التنبيه الدقيق يستجلي زواوي مكمن معرفي دقيق وعميق طالما تغافل عنه المشتغلون بالترجمة اللسانية ، إذ يتجلى أن فهم المفهوم السوسيري في عمقه الحقيقي لا يتحقق بمعزل عن استيعاب السياق اللغوي التطبيقي الذي أنتجته ، وهو سياق يمتد جذوره في تربة لسانية تاريخية ضاربة في القرن التاسع عشر ، حيث بلغت الدراسات التاريخية المقارنة ذروتها و أفرزت إشكالياتها التي شكلت الأفق الفكري الذي تشرب منه دوسوسير وتفاعل معه نقدا وتجاوز . ومن ثم فإن المترجم الذي يجهل هذا الأفق التاريخي ويقدم على نقل المفاهيم السوسيرية مجتزأة من سياقها اللغوي والتاريخي ، إنما تنتج في حقيقة الأمر ترجمة منقوصة تعكس قصوره المعرفي أكثر مما تعكس عمق الفكر الذي يدعو إليه .

إن أبرز ما تعاني منه الدراسات اللغوية المعاصرة في تعاملها مع الإرث السوسيري ذلك الانزياح التدريجي عن مقتضيات القراءة الفيلولجية الرصينة ، وماترتب على ذلك من تشوه في استيعاب الفكر وتمثله. وقد بات جليا أن اللسانيات المعاصرة حين أدارت ظهرها للمنهج الفيلولوجي لم تغلق باب معرفيا فحسب ، بل فتحت في المقابل نافذة واسعة على سوء الفهم والتأويل المنحرف ، وهو ما يمكن استجلاؤه بوضوح من خلال طريقة تعاملها مع كتابات دوسوسير تحديدا .

ولقد أسفر الموقف الذي تبنته اللسانيات المعاصرة إزاء البحث الفيلولوجي عن إساءة فهم جسيمة لكتابات دوسوسير ، ظلت تتعمق وتشتد مع مرور الوقت ، وقد أحسن فرانسو راستي في تعليل هذا الإشكال حين أشار إلى أن:"جمهرة اللسانيين تفتقر إلى الحس الفيلولوجي الضروري لتحقيق هذه النصوص ، كما تعوزهم المنهجية الكفيلة بتحليلها والتمييز بين مصطلحاتها التقنية وعباراتها العامة ، وتحديد الأجناس النصية التي تنتمي إليها المدونة السوسيرية ، فضلا عن جهلهم بأخلاقيات التأويل التي ينبغي أن ترشد مسارات قراءتها وتضبط آفاقها (Bouquet, 2012, pp. 21-33) ،و لا يكاد المرء يفصح عن هذا التشخيص حتى تتجلى له أبعاد الأزمة القرائية في كامل عمقها ، إذ لا يتعلق الأمر بمجرد ثغرات منهجية عارضة قابلة للردم والتجاوز ، بل بغياب منظومة متكاملة من الشروط الإبستمولوجية التي تقوم قراءة علمية رصينة إلا بها . فالتمييز بين المصطلح والعبارة العامة ليس إجراء شكليا فحسب ، بل هو بوابة الدخول إلى منطق الفكر السوسيري وفهم آليات اشتغاله الداخلي ، أما أخلاقيات التأويل

فتمثل الأفق الذي يحصن القارئ من الوقوع في فخ الإسقاط والاستيعاب المجحف ، وهو فخ يبدو أن كثيرا من اللسانيين المعاصرين لم يفلتوا من شباكه .

و إذا كانت الإشكاليات النصية والتأويلية التي أحاطت بالمدونة السوسيرية قد كشفت عن هشاشة القراءة اللسانية المعاصرة وقصورها ، فإن ذلك يقودنا حتما إلى تساؤل جوهري يتعلق بالكفاءات التي ينبغي أن يتسلح بها من يضطلع بمهمة نقل الفكر إلى لغة أخرى . فالترجمة في أرقى تجلياتها ليست عملية إحلال لفظي ميكانيكي ، بل هي فعل معرفي مركب يستدعي من صاحبه أن يكون على وعي تام بالشبكة المفهومية التي ينتمي إليها النص الأصل ، وبالسياق الفكري الذي أنتجه. ومن هنا تتجلى ضرورة التأمل في شروط الكفاءة الترجمية وحدودها ، إذ يقرر أصحاب النظر في هذا الشأن أنه:" لا يستوي عمل المترجم ، مهما كان النص الذي يقبل على نقله إلى لسان آخر على درجة من السهولة واليسر في القراءة والتفسير ، ما لم يتزود بادئ الأمر بكل ما شأنه الإسهام في إنارة العالم الذي ينتمي إليه النص المراد ترجمته ، ولقد اتفق جل العرفين بأمور الترجمة على الإلحاح على ضرورة امتلاك المترجم لقدر كاف من المعارف اللسانية التي تتصل بهذا النص ، والنص المنقول إليه ،فضلا عما أسماه **أمبريتو إيكو** بالمعارف الموسوعية ....أي بتلكم المعارف التي تراكمت في معرفة فكر دوسوسير اللساني (زواوي، مسائل في تلقي النظرية السوسيرية، 2021، صفحة 63)"

وفي ضوء ما تقدم ، يتبين أن مفهوم المعارف الموسوعية الذي استحضره إيكو في هذا السياق يتجاوز دلالته المعجمية المتعارف عليها ، ليغدو مفهوما إجرائيا يحيل إلى ذلك الرصيد المتراكم من الاطلاع العميق على مسارات الفكر السوسيري في تحولاته وامتداداته ، وعلى مآلات تلقيه في مختلف الفضاءات المعرفية . وعليه ، فإن المترجم الذي يقدم على نقل هذا الفكر دون أن يكون قد استوفى هذه الشروط المعرفية المتشبعة إنما يجازف بأن ينتج نصا مشوها يضاعف من حدة سوء الفهم بدلا من أن يسهم في تبديده ، مما يجعل مسألة التأهيل المعرفي للمترجم قضية محورية لا تقل أهمية عن القضايا المنهجية التي أثارها **راستي** من قبل .

2.3 المخطوطات السوسيرية ومساءلة التلقي العربي : من نقد الوساطة التحريرية إلى تأسيس وعي لساني متجدد:

إن الدرس اللساني لا يجدد بمجرد استهلاك الموروث النظري ، بل عبر مساءلة شروط تشكل المفاهيم التي أسست تاريخيا ونصيا . وفي هذا الإطار تكتسب المخطوطات السوسيرية أهمية إستراتجية ، إذ تمثل طبقة فكرية أولية تكشف عن الأبعاد المتعددة للغة والكلام ، والتي طمست جزئيا في الصيغ التحريرية التي رسختها القراءات البنيوية اللاحقة ، ولما كان المشروع"السوسيري لم يكتمل بعد ، فإن تأويل مضامينه بات مشروعا ، بل ضرورة ملحة، ومن هذا المنطلق قد نفهم حرص سيمون بوكي ، أحد محققي كتابات دوسوسير الجديدة المنشورة سنة 2002، على توصيف قراءته الخاصة لهذه الكتابات بالقراءة التأويلية ، التي تجتنب ما تنتهجه اللسانيات المعاصرة التي قطعت صلتها التي كانت تربطها بالبحث الفيولولوجي واستغنت عنه ، لا سيما راحت تبتعد عن النصوص وتنأى عن البحث التاريخي ") دوسوسير(Bouquet, 2012, pp. 21-33 , ينظر كذلك (Bouquet, 2012, pp. 21-33)وعليه فإن استعادة الصلة بالبحث الفيولولوجي لا تمثل تراجعا عن العلمية ، بل تعميقا لها ، لأنها تعيد تأسيس النظرية على وعي بتاريخ مفاهيمها وشروط تبلورها . بهذا المعنى يدافع زواوي عن تصور يجعل من التأويل المنضبط شرطا لإعادة بناء اللسانيات على أساس أكثر دقة ، حيث تتكامل الصرامة النظرية مع التحقيق التاريخي بدل أن تتقاطع معه .

إن الولوج إلى مخطوطات دوسوسير لا يمكن أن يتم عبر ترجمة تقريبية أو نقل اصطلاحي متعجل ، لأننا بإزاء نصوص تتسم بكثافة مفهومية عالية ،وبحساسية دقيقة في اختيار الألفاظ التي تشكل نواة النسق السوسيري

بأسره ، ومن ثم فإن الترجمة هنا ليست وسيطا لغوي محايدا ، بل شرطا ابستمولوجيا للقراءة الصحيحة ، لأنها تؤسس لتمثل المفاهيم في سياقها التاريخي والنصي ، وتضمن ضبط الفروق الدقيقة التي أقام عليها دوسوسير تمييزاته الكبرى وفي هذا الشأن نجد "العلامة ، وفكر دوسوسير السيميائياتي برمته ، تشوبهما اليوم تصورات فاسدة وآراء خاطئة ، ومقولات غامضة ، تراكمت نتيجة طبيعة تلقي الفكر العربي لسيميائيات دوسوسير ولسانياته، لكن الذي كان أكثر وبالا عليه هو اختلاف ترجمات كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة اختلافا فظيعا، ولم يفلح التهافت إلى نقل المعارف اللسانياتية الجديدة ، في أثناء ثمانينيات القرن الماضي ، في توحيد الرؤى ، وترشيد المعرفة اللسانياتية ، وحسن تلقيها لأجيال تعاقبت على منابر الجامعة لا تعيد إلا مكرورا" (دوسوسير، 2019، صفحة 105) ؛ في هذا السياق يقترح دكتور مختار زواوي إعادة تأسيس مسار الدرس اللساني العربي على أسس ابستمولوجية واضحة ، تتضمن ترشيد المعرفة اللسانية من خلال التفكيك النقدي للمسلمات التقليدية ، وإعادة ترتيب المفاهيم داخل أفق نسقي يراعي بنيتها الداخلية وشروط تشكلها التاريخي .إن هذا التصويب ليس مجرد تعديل شكلي ، بل إصلاح معرفي يمكن الجامعات والمؤسسات العلمية العربية من استثمار الفكر السوسيري بصورة دقيقة ومنضبطة ، ويؤسس لنقد ذاتي بناء للدرس اللساني العربي ، بحيث يتحول من تدوال نماذج مكرورة إلى ممارسة علمية واعية ، قادرة على إنتاج معرفة لسانية متماسكة ومنهجية ؛ وضمن ذات التوجه يشير زواوي في هذا الطرح إلى هشاشة تلقي الفكر السوسيري في المسار اللساني العربي ، ليس بوصفه انتقادا سلبيا للمارسات الأكاديمية فحسب ، بل بوصفه مبررا لعمل تصحيحي منهجي فإسهامه يكمن في كشف تراكمات التصورات المضللة والمقولات الغامضة التي رسختها أجيال من التلقي "فعدم التمييز بين مفهوم العلامة بوصفها الكل المتكون من الدال والمدلول ومفهومها المقتصرة على الدال وحده ، سيكون عواقب وخيمة على طبيعة فهم كتاب المحاضرات ، ويحول لا محالة دون إمكانية استخلاص تصور دوسوسير الأصيل منها ، و أما قد انساقت جميع ترجمات كتاب المحاضرات إلى اللسان العربي إلى الترجمة الحرفية ، فإنها أسهمت هي الأخرى إلى توسيع الهوة التي باتت تفصل المتلقي العربي عن فكر دوسوسير الأصيل (دوسوسير، 2019، صفحة 110)

وإذا كانت الترجمات العربية قد مالت إلى الحرفية ،فإن خطورتها لا تكمن في أمانتها اللفظية ، بل في عجزها عن نقل البنية العلائقية للمفهوم ؛إذ إن الترجمة الحرفية ، حين تنفصل عن الوعي النسقي ، تنقل المصطلح وتسقط الإشكال النظري الذي يؤسسه ؛فالعلامة عند دوسوسير ليست لفظا يحيل إلى معنى قائم خارجه ، بل وحدة نفسية . نسقية تتحدد بقيمتها داخل نظام من الفروق .

هكذا اتسعت المسافة بين المتلقي العربي والنص السوسيري لأن الخلل أصاب مستوى التحديد المفهومي ذاته ، لا مستوى التعبير اللغوي فحسب ، مما يقتضي إعادة قراءة دقيقة تعيد للعلامة وحدتها الثنائية ، وتدرجها في سياقها البنيوي الذي يمنحها معناها العلمي الصارم .

وانطلاقا مما تقدم تقريره ، يغدو جليا أن الأزمة التي يعانيها التلقي العربي للفكر السوسيري لا تقتصر على الإخفاق الترجمي في بعده التقني الضيق ، بل تمتد جذورها إلى غياب الوعي المفهومي العميق بطبيعة العلامة السوسيرية بوصفها كيانا علائقيا لايدرك معناه إلا داخل منظومة الفروق التي تحدده وتميزه . وهو مايعني أن إصلاح هذا الخلل لا يمر عبر مراجعة الخيارات الترجمية وحدها ، بل يستلزم في المقام الأول إعادة بناء الأفق المفهومي الذي ينبغي أن يتسلح به كل من يضطلع بمهمة نقل هذا الفكر أو تأويله ، وهو أفق لا يتشكل إلا بالجمع بين الكفاءة الفيلولوجية والعمق التاريخي والوعي التأويلي الذي طالما نادى به ز واوي وجعله شرطا أوليا لكل قراءة سوسيرية رصينة .

ومما لا جدال فيه أن إصلاح مسارات التلقي اللساني العربي لا يستقيم بمجرد المساءلة النظرية وتشخيص الخلل ، بل يستلزم في المقام الأول إرادة مؤسسية راسخة تتجسد في قرارات أكاديمية فعلية تهيئ الشروط الموضوعية اللازمة لتجديد هذا الاشتغال وترسيخه . وإن المخطوطات السوسيرية التي ظلت ردحا من الزمن حبيسة الأدراج ومحجوبة عن الباحثين العرب لتمثل ثروة معرفية نفيسة طالما حرم منها المشتغلون بالفكر اللساني المعاصر ، وهو ما يدفع زواوي إلى مطالبة بما يقتضيه الواجب الأكاديمي حين يصرح :"وإنا نأمل أن تسارع الجامعات والمؤسسات العلمية العربية في استدراك هذا النقص ، فتعين في وضع نسخ من هذه المخطوطات في متناول الأساتذة وطلبة الجامعات المعنيين بالفكر اللسانياتي المعاصر ، لما تفتحه من آفاق جديدة تعيد النظر في كثير من مسلمات اللسانيات الحديثة والقديمة ، وتسهم في مد الجسور بين لسانيات دوسوسير واللسانيات العربية لاشتراكهما في عدد من المسائل ، نراها غير قليلة (زواوي، دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات، 2017، صفحة 215)؛ وتكتسب هذه الدعوة التي أطلقها زواوي قيمتها المضاعفة من كونها لا تنبثق من فراغ فكري ، بل تستند إلى وعي عميق بما تنطوي عليه المخطوطات السوسيرية من إمكانات تأويلية خصبة لم تستنفد بعد ، وبما تتيحه من مساءلة جذرية للمسلمات التي شيدت عليها اللسانيات الحديثة صرحها النظري ، بيد أن الأمر أكثر إثارة للتأمل في هذا القول هو ذلك التلميح العميق إلى وجود قواسم مشتركة بين لسانيات دوسوسير واللسانيات العربية ، تلميح يفتح على آفاق بحثية رحبة لم يستجل كنهها بعد ، وينطوي على دعوة ضمنية إلى قراءة تقاطعية تعيد رسم خارطة العلاقة بين الموروث اللساني العربي والفكر السوسيري في عمقه المؤسس الأصيل بعيدا عن الصورة المبسترة التي رسخها الاستهلاك الأكاديمي المتسرع .

4. خاتمة

وبعد هذا المسار التحليلي المعمق في مشروع مختار زواوي النقدي وما يطرحه من إشكاليات جوهرية تتصل بتلقي الفكر السوسيري ونقله وترجمته ، يتبين لنا بجلاء أن ما يكون يبدو في ظاهره مجرد إشكالية ترجمية ، أو خلاف مصطلحاتي عابر ، إنما هو في حقيقته أزمة معرفية هيكلية متجذرة تمس صميم العلاقة بين النص والقارئ والناقل ، وتكشف عن هشاشة بنيوية طالت مسار استقبال هذا الفكر في مختلف الفضاءات الأكاديمية لا العربية وحدها .

ولعل أبرز ما خلصت إليه هذه الدراسة أن النص السوسيري بطبيعة تشكله التاريخية – إذ هو حصيلة وساطات تحريرية متعاقبة لا نص مؤلف بالمعنى الدقيق – يفرض على كل من يتصدى لقراءته أو ترجمته أو تأويله جملة من الشروط المعرفية الصارمة التي لا تقوم له قائمة دونها ، وفي مقدمتها الكفاءة الفيولوجية والوعي التأويلي والمعارف الموسوعية المتراكمة في حقل الدراسات السوسيرية ، وقد كشف راستي بمنتهى الوضوح أن غياب هذه الشروط لم يفض فحسب إلى سوء فهم الفكر ، بل أسهم في إنتاج قراءات مشوهة باتت تكرس نفسها بوصفها حقائق راسخة يصعب تجاوزها .

وفي هذا السياق بالذات يكتسب مشروع زواوي قيمته التأسيسية الحقيقية ؛إذ لا يقف عند حدود نقد الصورة المتداولة للفكر السوسيري ، بل يتجاوزها إلى دعوة إلى استعادة سوسير ، أي ذلك الفكر المؤسس في أفقه التعليمي المفتوح قبل أن تجمده الوساطات التحريرية وتغلقه التأويلات البنيوية اللاحقة في قوالب معيارية جامدة . وبهذا المعنى فإن زواوي لا يقدم لنا قراءة جديدة لسوسير بقدر ما يقدم لنا منهجا في كيفية قراءته ، وهو منهج يعيد الاعتبار للبعد التاريخي والفيلولوجي بوصفه شرطا معرفيا لا ترفا أكاديميا .

و إن الباحث في المدونة اللسانية العربية ليجد نفسه أمام تحد مزدوج : تحدي استيعاب هذا المشروع النقدي في عمقه المنهجي الحقيقي ، وتحدي توظيفه أداة إجرائية في مراجعة ما تراكم من قراءات مبسترة وترجمات قاصرة . وهو تحد لن يرفع إلا حين يدرك الأكاديميون العرب أن الاشتغال بالفكر اللساني الغربي لا يعني استهلاكه ومحاكاته ، بل يعني امتلاك الأدوات المعرفية الكفيلة بمساءلته ونقده وتجاوزه إلى إنتاج رؤية نظرية مستقلة .

التوصيات :

وتأسيسا على ما انتهت إليه هذه الدراسة من نتائج ، وانسجاما مع كشفت عنه من إشكاليات معرفية ومنهجية تتشابك في مسار تلقي الفكر السوسيري ونقله ، يمكن إجمال جملة من التوصيات التي نرى أنها جديرة بالاعتبار والتأمل ،راجين أن تسهم في تجديد الاشتغال الأكاديمي بهذا الحقل وترشيد مساراته .

-العمل على إرساء تقاليد أكاديمية راسخة في النقد النصي التاريخي داخل الأقسام اللسانية العربية ، بحيث لا يقبل على النص السوسيري باحث إلا وقد استوفى شروط التأهيل الفيلولوجي الأدنى ، وذلك عبر إدماج مقاييس متخصصة في تحقيق النصوص اللسانية ضمن البرامج الجامعية .

-الدعوة إلى إنشاء مختبرات بحثية متخصصة في تاريخ الأفكار اللسانية ، تضطلع بمهمة مراجعة الترجمات العربية للنصوص السوسيرية المتداولة وتقييمها في ضوء المعطيات الفيلولوجية الراهنة ، تفاديا لاستمرار تدوال ترجمات مشوهة ترسخ سوء الفهم جيلا بعد جيل .

-الانفتاح على الحوار البيني بين اللسانيات والفلسفة وتاريخ العلوم ، إذ إن استيعاب الفكر السوسيري في عمقه الحقيقي لا يتحقق بمعزل عن الفضاء الفكري الأروبي الذي احتضن نشأته ، مما يستدعي تكوينا أكاديميا متعدد التخصصات يتجاوز حدود الاختصاص اللساني الضيق .

-العمل على استثمار مشروع مختار زواوي النقدي وتوظيفه مرجعا أكاديميا محوريا في البرامج الجامعية المتخصصة في تاريخ اللسانيات ، إذ يمثل نموذجا عربيا فريدا في الجمع بين الكفاءة الفيلولوجية والعمق النظري ، وهو نموذج يستحق الاحتذاء به لا مجرد الاستشهاد به .

-تشجيع الباحثين العرب على الانخراط في مشاريع بحثية مماثلة لمشروع مختار زواوي تتناول أعلاما آخرين من تاريخ اللسانيات الحديثة ، بما يسهم في بناء تقليد عربي رصين في نقد الوساطة النصية وتحقيق النصوص اللسانية المؤسسة .

-تخصيص ملتقيات علمية دورية تعنى بمناقشة أعمال زواوي ومن سار على نهجه من الباحثين العرب المشتغلين بنقد تلقي الفكر اللساني الغربي ، بوصف ذلك فضاء للتراكم المعرفي الجماعي لا للاحتفاء الفردي .

- وحري بنا في هذا المقام أن نقر بأن ما أتيح لنا استجلاؤه في هذه الدراسة ليس إلا غيضا من فيض مشروع زواوي الفكري الثري ، الذي تشبعت فيه مقاربات سوسير وتعددت زوايا النظر إليه من الأبعاد التاريخية والفيلولوجية والابستيمولوجية ، مما يجعل كتاباته ونتاجاته الأكاديمية جديرة بالمطالعة المعمقة والتأمل الرصين ، لاسيما في أوساط طلبة الجامعات الذين هم في طور الإعداد والتكوين الأكاديمي ، إذ لا شك أنهم سيجدون زادا معرفيا نفيسا يرسخ وعيهم المنهجي ويصقل أدواتهم النقدية .

5. قائمة المراجع:

المراجع العربية

دوسوسير ,ف .(2019) .*في جوهري اللغة*) .م .زواوي (.Trad ,بيروت :دار الروافد الثقافية -ناشرون.

مختار زواوي. (2017). *دوسوسير من جديد مدخل إلى اللسانيات*. بيروت ، لبنان: دار الروافد الثقافية.

مختار زواوي. (2021). *مسائل في تلقي النظرية السوسيرية*. دار ومضة.

المراجع الأجنبية

Bouquet, S. (2012, 06 20). Principes d'une linguistique de l'interprétation : une épistémologie néosaussurienne. *Langages/1 n° 185* .

Ferdinand de Saussure, E. d. (2002). *Ecrits de Linguistique générale.* (B. S. S, Éd.) paris: Gallimard.

Saussure, F. d. *coure de linguistique générale.* (B. A. par C, Éd.)